غرام الكبار

رسائل غرام الكبار بين مي والعقاد

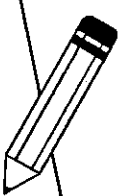

obeikan.com

obeikan.com

من العقاد إلى مي

أول يوليو عام ١٩٢٥

سيدتي الآنسة مي ..

أشكركي على الأبيات التي تفضلت بقبولها نعمة من نعم السماء وابتسامة في فم الحياة . أتمنى لك من السعادة بقدر ما بعثته في نفسي وبثته في جوانب قلبي .. ولست بخيلا بالدعاء لو تعلمين حين أتمنى لك «بقدر» ما شعرت به .

وإني أبصرك الساعة بين الماء والسماء فأشعر بوجود الله حقا وأحس بمحضره قريبا لأنني لا أستطيع أن أعرف قوة غيره تحمل ذلك المهد السابح الذي أتمثلك فيه طفلة وادعة في أحضان ذلك الحنان السرمدي العظيم...

وهلا أحدثك بما أشعر به وأنا أكتب إليك من القاهرة وأنت في طريقك إلى مدينة غريبة بعيدة بموقعها بعيدة بتاريخها القديم وذكرياتها الخالدة ؟ . إني على ما بي من الشوق إلى رؤيتك وسماع صوتك لست أشعر البتة ـ وهذا ما أستغربه ـ لأنني أخط هذه السطور لتصل إليك على البعد حيث لم أكن ولم تكوني قط قبل الآن ولا أحس فضاء بين نفسينا تتنقل فيه الرسائل ويقاس بمسافات البحار والآفاق وظلام الليل وبياض النهار . فلا مثالك بعيد مني لأنه أقرب قريب إلى حيث هو حاضر أبدا أراه ولا أرى شيئا سواه .

وليست هذه أول مرة أذكرك فيها بين معاهد البلاد الغائبة وظلال الأزمنة القديمة . فقد ذكرتك في أسوان وذكرتك عند عرش إله النيل ومعبد إيزيس .

فهل ستذكرينني ؟ إنني آمل وأتوسل . بل إنني واثق أنك ستذكرين ! واثق كل الثقة وسعيد كل السعادة بهذه الثقة الغالية . فلا تنسي يا آنسة .. واعذري ولا تشتدي علي ! .. ولك مني أعز وأصفى ما ترسله نفسي إلى نفس من تحيات الشوق والرجاء والعطف والشكر والاحترام.

من مي إلى العقاد

برلين ٣٠ أغسطس ١٩٢٥

أكتب إليك من بلد كنت دائما تعجب بشعبه كما أعجب به أنا أيضا ولكن إعجابي بقصيدتك البليغة في معناها ومبناها فاق كل إعجاب . وقد اغتبطت بها غبطة لا حد لها واحتفظت بها في مكان بين أوراقي الخاصة خوفا عليها من الضياع !

إنني لا أستطيع أن أصف لك شعوري حين قرأت هذه القصيدة . وحسبي أن أقول لك إن ما تشعر به نحوي هو نفس ما شعرت به نحوك منذ أول رسالة كتبتها إليك وأنت في بلدتك التاريخية أسوان .

بل إنني خشيت أن أفاتحك بشعوري نحوك منذ زمن بعيد .. منذ أول مرة رأيتك فيها بدار جريدة المحروسة . الحياء منعني وقد ظننت أن اختلاطي بالزملاء يثير حمية الغضب عندك . والآن عرفت شعورك وعرفت لماذا لا تميل إلى جبران خليل جبران .

لا تحسب أنني أتهمك بالغيرة من جبران فإنه في نيويورك لم يرني ولعله لن يراني كما أني لم أره إلا في تلك الصور التي تنشرها الصحف . ولكن طبيعة الأنثى يلذ لها أن يتغاير فيها الرجال وتشعر بالازدهاء حين تراهم يتنافسون عليها ! .. أليس كذلك ؟ .. !

معذرة .. فقد أردت أن أحتفي بهذه الغيرة لا لأضايقك ولكن لأزداد شعورا بأن لي مكانة في نفسك أهنئ بها نفسي وأمتع بها وجداني . فقد عشت في أبيات قصيدتك الجميلة وفي كلماتها العذبة وشعرت من معانيها الشائقة وموسيقاها الروحية ما جعلني أراك معي في ألمانيا على بعد الشقة وتنائي الديار .

سأعود قريبا إلى مصر وستضمنا زيارات وجلسات أفضي فيها لك بما تدخره نفسي ويضمه وجداني فعندي أشياء كثيرة سأقولها لك في خلوة من خلوات مصر الجديدة فإني أعرف أنك تفضل السير في الصحراء وأنا أجد فيك الإنسان الذي أراه أهلا للثقة به والاعتماد عليه.

مي زيادة

obeikan.com

آه من التراب

العقاد يرثي مي زيادة وقد ألقيت بمناسبة وفاة الأديبة مي زيادة قال فيها :

أين في المحفل «مي» يا صحابْ ؟ عودتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب مستجيب حين يُدعى مستجاب

أين في المحفل «مي» يا صحاب ؟

***

سائلوا النخبة من رهط النديّ أين ميَ؟ هل علمتم أين الندى مي؟
الحديث الحلو واللحن الشجي والجبين الحر والوجه السني

أين ولى كوكباه ؟ أين غاب ؟

***

أسف الفن على تلك الفنون حصدتها وهي خضراء السنون
كل ما ضمته منهن المنون غصصٌ ماهان منها لا يهون

جراحات ويأس وعذاب

***

شيم غرّ رضيات عِذاب وججي ينفذ بالرأي الصواب
وذكاء ألمعي كالشهاب وجمال قدسي لا يعاب

كل هذا في التراب .. آه من هذا التراب

***

كـــل هـــذا خالـــدٌ في صـــفحات عطـــرات في رباهـــا مثمـــرات
إن ذوت في الـروض أوراق النبـات رفرفـــت أوراقهـــا مزدهـــرات

وقطفنا من جناها المستطاب

***

مـــن جناهـــا كـــل حســـن نشـــتهيه متعـــه الألبـــاب والأرواح فيـــه
ســـائغ ميـــز مـــن كـــل شـــبيه لم يـــزل يحســـبه مـــن يجتنيـــه

مفرد المنبت معزول السحاب

***

الأقـــاليم التـــي تنميـــه شـــتى كـــل نبـــت يـــانع ينجـــب نبتـــا
مـن لغـات طوفـت في الأرض حتى لم تـدع في الشرق أو في الغـرب سـمتا

وحواها كلها اللب العجاب

***

يـا لـذات اللـب مـن ثـروة خصـبِ نـير يقـبس مـن حـس وقلـبِ
بين مرعى من ذوي الألباب رحبِ وغنـــى فيـــه وجـــود مســـتحبِ

كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

***

طلعـه النـاضر مـن شـعر ونثـر كرحيـق النحـل في مطلـع فجـر
قابـل النـور عـلى شـاطئ نهـر فلـه في العـين سـحر أي سـحر

وصدى في كل نفس وجواب

***

حـــي «ميـــاً» إن مـــن شـــيّع ميـــا منصـــفاً حيـــا اللســـان العربيـــا

وجـــزى حـــواء حقـــاً سرمـــديا وجـــزى ميـــا جـــزاء أريحيـــا

للذي أسدت إلى أم الكتاب[1] !

■ ■ ■

(١) يقصد هنا بأُمِّ الكتاب اللغة العربية وليس فاتحة الكتاب الكريم .

obeikan.com